صورة خلقية نادرة

مركب العاملات

للكاتب الفرنسي المعروف جاك نورلد بوي

« نقلها عن الفرنسية احمد ابو الخير مدني »

من بين النساء اللاتي يشتغلن في باريس بالاعمال المختلفة، تلك العاملات المعروفات بعاملات الجملة . فان يومهن مصروف في غسل الثياب في مراكب قد تراصت على ضفة السين . تراهن دواماً جاثيات تحت آصار غسالاتهن ، صاعدات هابطات سلالم شديدة الانحدار ، مكابدات ثقيلات الفصول ، متسمات روائح منتنة تملأ المناطس عند شواطىء نهر تقضي اليه اقذار مليون من السكان ، متعرضات للرطوبة الدائمة المتغلغلة في اثوابهن ، المخدرة لاجلادهن وأطرافهن وأجورهن اليومية زهيدة . وجلهن ذوات بعولة وبنين . ومع هذا فقد استطعن اقتطاع دريهمات قلائل منها جعلنها في صندوق توفير يرد عنهن عوادي الدهر وطوارىء الحدثان ، ويدرأ عن بعضهن البؤس وعنهن الضر الالتجاء الى باب آخر او التماس المونة أيًّا كانت ولهن ايضاً عادة ان يتخذن كل حول زعيمة يلقبنها بالملكة تتصدر ملاهيهن ومسراتهن وتقضي في خلافاتهن وخصوماتهن . ومن مرقت منهن عن سنة الاخلاق القويمة اعتزلنها وعقوها من مملكتهن قياً قصيًّا

عند اسفل الرصيف المعروف برصيف البلدة في باريس مركب كبير قد أمَّهُ عدد عظيم من النساء القاطنات بهذا الحي المزدحم . واشتهرت من بين هذه العاملات البارعات فتاة ناهزت الثالثة والعشرين تدعى بلانش ريمون ذات وجه بنطلق ، تتبين في قسماته خلوص الطوية وصفاء النية ، صناع يادية الحذق ، مستقيمة الخلق شديدة قوية . وتوفي امها الموت ، وأصبحت عضد أبيها الاعمى وبصيرته التي ليس لهُ من دونها ولي ولا نصير . فكانت تضاعف جهدها وتواصل في حرفتها كدها ودأبها لتكفل اباها ونفسها ، وكان أبوها السيد ريمون مع فقدانه البصر يشتغل في غياب ابنته بعمل الشباك لصيادي السمك . وبلغ من فرط اجتهاده ان صار يصيب في يومه قرابة الفرنك ، فرزقه ذلك قليلاً من عيشهما ودفع عنه الم الظن بأنه عالة كله على ابنته . وكانت

بلانش حتى اعدت طعام الفطور لابيها المقيم في منزل تجاه السلم المؤدية الى مركب الناسلات ، هبطت الى مقر عملها وجه النهار ، فاذا اقبل الظهر عادت الى ابيها الضرير تجهز له طعام الغداء ثم ترجع الى عملها حتى يبلغ النهار حده ، فتنقلب الى بيتها الصغير الذي انتشرت في ارجائه النظافة والرفاهة ، فتمضي بأبيها الشيخ تجول معهُ على رصيف البلدة ساعة ، تفاكهه وتسامره وتملأ قلبه سروراً وطرباً ثم تعود به ليتناول العشاء فاذا طعم ونام رقدت هانئةً قرير العين بعناية ابنته وبرها به

***

وانقضت ثلاث سنين على موت امها وكانت بلانش تشعر بسعادة عظيمة بالعناية بأبيها والاجتهاد في مسرته ومرضاته لقاء ما استطاعت فقد رفيقة حياته الوفية . وكانت محبتها لابيها بالغة من الشدة والتمكن بحيث لم تجد اية عاطفة أخرى الى فؤادها مدخلاً او سبيلاً . وكان فتيان الصناع في المصانع القريبة يحاولون بغير طائل التحبب اليها واكتساب رضاها فقد كانت عنهن بأبيها ومؤنتف عمومها وأعمالها في شغل

الاّ انها رأت من بين عمال أحد مصانع الاقمشة فتىً يدعى فيكتور ، وسيماً مديد القامة ، شديد الأسر ، تعرف من سيماه رضى النفس وطيب الاعراق . وكان بالفتاة الخاملة حظّاً لا يخلط حديثه سهاما يُشعر بمجاوزته الاحتشام ولا يلقاها الاّ بتحية الود الخالص والاحترام وكان يكثر من سؤاله عن أبيها فما كانت تجد الاّ ان تكون بسؤاله حفية شاكرة . وإن يلقها صاعدة سلم المركب يؤدها حمل وجاءها الطائع فيسلمها ، يقف من خلفها فيخفف بذراع شديدة وقرها ، ثم يصحبها الى باب دار عملها فاذا بلغته زايلها بتحية الادب البارع

ولم تقدر بلانش ان تملك متجافية بازاء هذا الود الصفي المتكرر ، فلمح فكتور منها انها من دون خطابها جميعاً قد فاز باعجابها وحظي عندها . وقد جراه ذلك الاعتراف المضمر فضاعف من توقيره لها والطافها ، والتمس منها الايضاح والجلاء فألفاه أغرى ما يكون وأيأس ما يكون

— فقد قالت لهُ مخلصة بساطة : يا فكتور ما في استطاعتي اخفاء أمري عنك . فاعلم انهُ لا شيء يستطيع فصلي من أبي الذي طعن في السن وفقد البصر . فما لهُ أحد في الدنيا سواي ليخفف ما به من ضر وسوء حال

— فقال فكتور اذاً اني لعون لك في هذا الذي تبغين . لقد فقدتُ أبي وأنا طفل لعوب وكادت كلة أب ، وما أحلاها نطقاً ، لا تخرج من فمي . وهذه سعادة أخرى أنا مدين لك بها أجل يا بلانش ، انك اذ تجعليني بعلاً لك ، تصيرينني للشيخ ريمون ولداً باراً به وحفيّاً

— قالت ولكني اتخذ بذلك لنفسي رباً ومسيطراً ! . . . وما ألبث ان يعقب سعادتي بصيرورتي زوجة لك سعادة أخرى بصيرورتي أمّاً . وهناك لا يجد أبي في قلبي الاّ المكان

الثالث . ولن يصيب مني الا جانباً ضئيلاً من هذه المحبة التي هي اليوم كلها لهُ . وسيفطن لذلك ويأسى منهُ ثم لا يشكو ولا يئس فاذا هو من أشقى العالمين . . . كلاَّ . كلاَّ . ما عاش أبي فاني مصروفة عن الزواج . فلا تحاول اغرائي بصور من السعادة تبهر عيني كما تبهر عينك ! فدع بلانش تنهض باسبء الذي ألقاه على عاتقها القدر

وكان مما أمعن في نهر نفسها النفسانية ، ومقابلة قلبها الكريم ، وكأنهُ زحزحها عن عزمها الشديد ما ذاع من أمر حب فكتور لها بين الشاملات . فقد أكبرنَ ثباتها وتعجبنَ من عنادها أمام رجاء ذلك الفتى الكريم وتوسلاته . وابهُ لها لنعم القرين . فكانت كل منهن لسانه وبيانه لدى بلانش . وما كانت تقدر ان تطأ أرض الشاطىء حتى ينحزن الى جانب فكتور وعائلتهُ عليها ويحامين عنهُ . فلما ألفت نفسها مضيقاً عليها محاطاً بها من كل صوب ، ولم تجد فُسحة عن سماع صوت فؤادها ، والميل مع هواها ، قالت انهُ ان ساعلت المقادير باحرازها دار للغسيل ، وحينئذٍ يتاح لها رعاية أبيها ومتابعة العناية به ، فما يمنعها مانع من الزواج بفكتور . بيد ان هذه الدار انما تُقوَّم بحسب السعر الحاضر بخمسة الى ستة آلاف فرنك . ولكن كيف الحصول على هذا المبلغ الجسيم ، وكيف الوصول الى ادخاره من أجر كدها الزهيد ؟ على ان فكتور ظفر منها بوعد وواثقته بموثق ، ولم يداخله يأس من بلوغ مناه . وكان يؤجر خمسة فرنكات في اليوم في معتمه . وكان قد أدخر بعض مال . وكان التاجر الذي قضى عنده عشر سنين ، يبدي لهُ كثيراً من الرعاية والتقدير . ولعله ان يتطول عليه فيقرضهُ جانباً من هذا المبلغ . ثم ان جميع شاملات المركب عرضنَ بذل المبلغ اللازم لزواج الفتيين من مدخر ماهن السنوي وقدره تسعة آلاف فرنك ، ولكن بلانش ، وان لم تكتم تأثرها الشديد ، لمروءة زميلاتها ، فقد أبت إلا الثبات على صريمتها ، وجددت لفكتور ميثاقها أن تتزوج به حين يستطيعان باجتماع مالهما ابتياع دار للغسيل . ولكنها لم تلبث أن بنيت بمحنة جديدة كادت تهد أركان عزيمتها

ذلك أن اباها الذي ناجز السنين كان عاملاً قديماً في الميناء المعروفة بميناء القراميد . وكان قد قضى طويلاً برد الشتاء القارس ورطوبة شاطىء النهر ، فأصابهُ من ذلك رثية وتقرس اصاراه كسيحاً عاجز اليدين ، عديم الحركة . فكان لا بد من سريلته بملابسه ، من رأسه الى أخمص قدميه ، والقامه طعامه كما يلقم الطفل الصغير طعامه . وكان يلزم فراشه الى الساعة التاسعة إذ تعود ابنتهُ من المركب لتهضهُ وتبوأه مقعده الضيق وتأتي له بفطوره الخفيف . وكانت هي أيضاً تقضم على عجل كسرة من الخبز ثم ترد كل شيء الى موضعه وتعود الى غسيلها . فاذا دقت الساعة الثانية أرقلت الى داره تجهز طعام الغداء لأبيها حتى إذا طعم وهنأه ، تعود لتتم نهارها في عملها . فاذا قبضت أجرها عادت تجلس الى ابيها تسليه وتخفف اساءه واكداره

واختلست بلانش يوماً ساعة الراحة الصباحية فأتت متواها حسب عادتها، فألفت أباها مستوياً على مقعده قد أصلح فراشه ونسق النمد في حجرته ، فاستخبرت عن تلك اليد المؤازرة التي باغتتها هذه المباغتة المستحبة ؛ فأجابها الشيخ مبتسماً بأن ذلك سر هو به حفيظ . ولم تلبث الفتاة أن استكشفت انما هو فكتور الذي استرضى رئيس المصنع أن يعفيه من العمل في الساعة الثامنة بدل التاسعة ، فأذن له بذلك . فكان يأتي بنفسه الى الشيخ الضرير فينهضهُ ويبذل لهُ كأرقّ الابناء كل ضروب العناية . فأثّر صنيعه ذاك في بلانش أبلغ اثر . وما فتئ الا "ان أهاج هواها به الذي كانت تنفسهُ في نفسها منذ حين . ورأت مرة أخرى في عودتها في الساعة نفسها من النهار أن أباها لم يكن خارج فراشه فقط ؛ بل كان مستوياً في حمام كهربي سروف بحمام باريج جهزه فكتور بنفسه بحسب ارشاد طبيب نطاسي كان قد استصحبهُ لفحص المريض . فلم تملك بلانش عندما رأت ذلك أن تدفع سيل الدموع من مآقيها ، وتناولت يد خطيبها فجعلتها على قلبها وشدت عليها وهتفت تقول :

— إني ليعجزني ان أفي لك فضلك ومنك عليّ ما حييت

— قال أن هي الا "كلمة تخرج من فيك يا بلانش فتوفي هذا الدين

فتورد خدا الفاتنة من خجل واسبلت جفنها وهي ترجو الاقلات بعضها ، من هذه الورطة الجديدة . واذا الشيخ ريمون نفسه يضم رجاءه الى رجاء فكتور مبدياً لابنته رغبته أن يراها زوجة هذا الغلام الكريم . وارحتاه لها ! كم كابدت وهي هي ذات الشعور المضطرم في هذا النضال المضاعف ! أن تعصي أباها وخطيبها ، وان تغالب كلي سلطاني الابوة والحب المتولد عن شكر المنعم : وهذا لذاك عدل وقرين ! ... ولكن كانت كلمة الحب النبوي هي العليا . فشدت ما بين يديها من جلد وعزم شديد ، وقالت إن لذة الزواج بأفضل من عرفت من الرجال لا يخليها البتة من واجبها الذي فرضتهُ عليها الطبيعة ، وأنها كلما ازداد أبوها وهناً ، كانت حاجتهُ إلى ابنته أشد وأقوى

فلم يكن من اقرارها على ما تريد بد ، وكانت حالة المريض تتقدم ، ولكن مضاعفة العناية بأيها العجزها ان تتم عملها اليومي في المركب ، فاستمنحت صاحبة المشتل حق النمل بالقطعة . وكان هذا يعود عليها بمثل ما كان يعود به النمل المعتاد

***

وجاءت بلانش ذات صباح الى المركب متأخرة على خلاف عادتها ، اذ قضى أبوها ليله متوجعاً ، فاقبلت على عملها بجهد شديد لتعويض ما فقدتهُ من وقتها . وأزفت الساعة المعلومة

فتنادرت من فورها ما فضل من غسيلها وتركته في رعاية جارتها . ومضت على عجل الى ايها لتصنع له طعامه المعتاد ، وعادت بعد حين الى المركب ، فأخذ منها العجب كل مأخذ إذ الفت غسلتها التي لم تفرغ منها بالامس الا عند اسدال الليل استاره ، قد انتهت اليوم قبل ذلك بوقت طويل ، على انها كانت قد قضت لدى ايها وقتاً كثيراً ، وجاوز اجرها في ذلك اليوم ثلاث الفرنكات . فلما كان من الغد تنبيت ساعات كالامس فاصابت نفس اجرها الذي اصابته بالامس ، فما شكت ان بدأ محنة تشتمل من اجلها اذ تمضي لخدمة ايها . فتربصت خلف سور رصيف البلدة ورمت بنظرها شطر المكان الذي غادرته خالياً تستطلع ، فالفته طافراً باحدى ازاره . وكانت التي حلت مكانها قد اتفقت مع سائر الغاسلات ان تأخذ من وقت راحتها المعتاد ما يكفي من الوقت للحلول محل بلانش في غسلها ، ليعود الوقت الذي تفرغه لخدمة ايها بالفائدة عليها . واتفقن ان يداولن ذلك بينهن ، لحرصهن جميعاً على اظهار دلائل مودتهن واكبارهن لمن هي ابر البنات بالآباء فوقع ذلك منها موقعاً وتجاهلته . ولم يلبث ان تم برؤه بتحسن حالها وتوفر وسائل العناية به والمعالجة . ولكم طربت بذلك وقرت به عيناً وكم طار فؤادها جذلاً اذ خرجت بابها وسط زميلاتها فتأتهُ بعجيب اخلاصهن وكيف تعاونَ عليها وافضلن . وكان الشيخ قد رجع اليه شبابه فجعل يقبل هذه ويشد على كف اخرى ويطرب بما يصل مسامعهُ من عبارات الهناء التي كانت بلانش تتلقاها من كل من حضر من الغاسلات وكان فكتور قد اندس في زمرتهن قدنا منها متحفياً بتحيتها وقال لها هامساً :

— أنا أكون اذاً وحدي الذي تنادرينه شقياً غبياً ؟

وارادت بلانش ان تجيب ، ولكن كان اضطرابها بالغاً شديداً . فراحت ترمي في احضان ايها لتخفي ما يطوي فؤادها من عراك وقتال

***

واقبل يوم انتخاب الغاسلات للملكتهن فأجمعن على انتخاب بلانش اذ احرزت اعجابهن واكبارهن ، فتوجهنا في هذا العيد الحافل في قلب المركب وقد سامت قلوعه النظام السماء وزانهُ زخرف من زهور من كل لون بهيج . وجاء بها ابوها الى الحفل مستبشراً أرناً فتلقبها بالهتاف وأجمعن على ان يكون لابيها شرف وضع اكليل الورد على رأسها . واضطربت يداه من فرط السرور لا من فرط الوهن . وقال ان هذا اليوم لأحب ايامه اليه ، ويعد ان دعا لابنته بالسعادة والرفاهية ، اخذ يساقط على وجهها ارق القبل واحلى الدموع . واقبلت الغاسلات بأسرهن

يبدين ملكتهن الجديدة آيات الاجلال وتحيات الاكبار ودنا منها فكتور كواحد من رعيتها المخلصين الامناء وقال لها ايضاً :

— أفأكون اذاً وحدي الذي تغادرينهُ شقيًّا تحيًّا ؟

***

تخرقت هذه الكلمات التي فاه بها بلهجة مؤثرة مسامع كثير من الغاسلات ، ولاسيما صاحبة دار النسيل فاكان منها الا ان قالت انها تنزل عن نشلها يوم يتاح لبلانش الحصول على خمسة آلاف فرنك

— فقال فكتور اني الآن املك ربع هذا المبلغ ولاقترضنَّ الباقي من صاحب المصنع الذي اعمل فيه

— فقالت بلانش وهي لا تملك كتمان اضطرابها ان هذا دين يؤدنا حمله ، وانّى لنا وفاؤه ولو بعد حين

— فقال شيخ كان قد اختلط في المشاهدين ذو مهابة ووقار ، بجائزة الفضيلة التي تمنحك إياها المجمع اللغوي الفرنسي

فاستطلعوه طلع ذلك فذكر لهم ان المجمع يوزع كل عام جائزة للفضيلة مقدارها ستة آلاف فرنك لمؤسسها مونتيون العظيم تمنح لمن يمتاز من اهل باريس بمأثرة او ضيح جميل عجيب . وذكر ان عمدة الدائرة الثامنة تلبية لطلب غاسلات البلدة قد ذكر بلانش كمثل عجيب في بر الابناء والاحسان بالوالدين ، فاختارها جماعة العلماء الذين هو واحد منهم وانتدبوه ليبشر الفتاة البارة بما أصابت من مثوبة هي بها حقيقة

***

وقد احدثت هذه البشرى في اهل السفينة ما كان يتوقعهُ ذلك البشير الكريم من اثر بليغ فارتفع في اركان المركب هتاف الاستبشار . وأحاط الغاسلات بأصيلتهنّ بعض المجمع الجليل محتفيات مكرمات ، يؤيدنَ بسرورهنّ وشكرهنّ ذلك الاختيار الذي اصاب رفيقتهنّ العزيزة التي سلكوها من قبل عليهنّ ، أما بلانش التي زانها تواضع وبساطة فقد خطت ، وهي لا تزال في ريب مما حظيت به من تشريف واكبار ، متوكئة من جانب على ذراع أبيها . ومن الآخر على ذراع فكتور ، تنبض من المتدوب الجليل الجائزة التي فيها بلوغ أمانيها وادراك مآربها

معهد ما اعظم فضله

على الشرق[1]

المعروف اننا نحتفل اليوم في هذا المعهد الكريم بيوبيله الماسي اي انهُ قد انقضى خمسة وسبعون عاماً على تأسيسه . والحقيقة انهُ قد انقضى على تأسيسه مئة سنة وسنتان وان كنتم في شك مما اقول فيها كم التاريخ

لما دعتني لجنة اليوبيل الكريمة لاقول كلمة في تاريخ المدرسة رأيت انهُ لا بدّ لي ان اعود الى دفاتر « امي » القديمة فطلبتها من ادارة المدرسة وشدّ ما كانت دهشتي لما وجدت بعد درس السجلات أن تاريخ هذا المعهد يعود الى سنة الف وثمان مائة وخمس وثلاثين لما فتحت عقيلة المرحوم عالي سمث اول مدرسة للبنات في سوريا بل قل في المملكة العثمانية وكانت المدرسة يومية فقط . وفي السنة التالية اي سنة ١٨٣٦ كانت المدرسة تضمّ اربعين تلميذة بينهنّ راخيل عطا التي اقترنت فيما بعد بالعلامة المرحوم بطرس البستاني

مرّت سنوات على المدرسة وهي تنمو وتكبر وتتقدم حتى جاءت سنة ١٨٦١ لما شعر المرسلون الاميركيون الكرام الذين لهم الفضل الاكبر في نشر العلم الصحيح في بلادنا هذه بحاجة البلاد الماسة الى مدرسة داخلية للبنات فاستأجروا في السنة التالية اي سنة الف وثمانمئة واثنين وستين بيتاً جهزوه بالمعدات الضرورية وعملوه مدرسة داخلية وبيتاً لكن مدير المدرسة ومديرتها المرحومين مخايل ولولو عرمان

كان عدد البنات الداخليات في الأشهر الأولى من السنة الاولى ستًّا فقط لكن ما أتى ختام السنة الدراسية حتى كان العدد خمس عشرة بنتاً . وزاد في السنة التالية الى الثلاثين فأصبح مع هذه الزيادة المطردة من الضروري انشاء بناء أصلح للمدرسة فقرر المرسلون الاميركيون سنة ١٨٦٤ أن يبنوا مدرسة تصلح لان تكون داخلية ويومية في آن. وآخر ويعود الفضل

---

(١) طرف فاخرة من تاريخ هذه المدرسة كما جاءت في خطاب السيدة اديل جريديني حجار في الاحتفال بيوبيل المدرسة الماسي

الاكبر في تحقيق هذه الامنية الى المرحوم الدكتور هنري جسب الذي كان صديق المدرسة الحميم من يوم أن تصوَّرت في مخيلته الى ساعة وفاته ، هو الذي طاف البلاد الاميركية يجمع التبرعات بهمة لا تعرف الملل ، ولما تجمع لديه المبلغ الكافي من المال عاد الى بلادنا فوضع تصميم البناء وأشرف على العمل حتى النهاية فكان دولاب الحركة هنا وهناك

قام مكان هذا المعهد أولاً بيت للمرسل الاميركي المرحوم اسحق بيرد . ولما نقلت المطبعة الاميركية سنة ١٨٣٤ من مالطة الى بيروت حولوا ذلك البيت الى مطبعة فكان الدور الاول منهُ مطبعة وكنيسة وفي الدور الثاني ترجم الكتاب المقدس الى اللغة العربية

ولما قرَّر المرسلون الاميركيون بناء هذا المعهد أخذت المطبعة البناية ، وفي تشرين الاول سنة ١٨٦٥ بوشر بالعمل فرمم البيت القديم وزيد عليهِ وجهز بكل المعدات الحديثة اللازمة لمعهد كهذا وجيء بكثير من المواد الاولية المستعملة في البناء من أميركا وأوربا رأساً فجيء بالخشب مثلاً من مقاطعة ماين في الولايات المتحدة وصنعت النوافذ والابواب في لولو ما سشوستس بأشراف الدكتور هملن وجيء بالقرميد من مرسيليا والبلاط بعضهُ من ايطاليا وبعضهُ من لبنان وكلف بناؤه نحو عشرة آلاف ريال اميركي

وفي خريف سنة ١٨٦٦ فتحت المدرسة الجديدة — أي هذا المعهد كما هو قائم أمامكم اليوم — أبوابها لقبول الطالبات فمن هذه الناحية فقط اي منذ ابتداء المدرسة الداخلية سنة ١٨٦٢ الى يومنا الحاضر نقول اننا نحتفل اليوم باليوبيل الماسي لمدرسة البنات الاميركية في بيروت والحقيقة يجب ان تكون اننا نحتفل بيوبيلها المئوي فمن سنة ١٨٣٥ الى سنة ١٩٣٧ مائة سنة وسنتان

***

اسندت ادارة المدرسة الداخلية أولاً الى المرحومين مخايل ولولو صرمان وسنة ١٨٦٨ تسلمت ادارة المدرسة المهذبة الكبيرة المرحومة اليزا افرت التي حذبت وعلمت والفت وثابرت هي ورفيقاتها من اجنبيات ووطنيات طيلة ثمانية وعشرين عاماً الى أن اوصلت مدرسة البنات الاميركية الى مستوى المدارس العالية الحالية . وكان للعلاَّمة المرحوم يعقوب صرُّوف الذي عمل جنباً الى جنب مع مس افرت والسيدة فرحة حدَّاد فضل كبير جدًّا على تهذيب نشأة ذلك العصر وسيدة المستقبل

تعاقب مديرات ومهذبات أميركيات ووطنيات بعد ذلك فمنَّ جميعاً فضل كبير على هذا المعهد العزيز لا بل على بلادنا المحبوبة اخصّ منهنَّ بالذكر المرحومة اميليا طمسن التي وقفت الشطر الاكبر من حياتها الطويلة لخدمة بنات ونساء سوريا

ونذكر بالتقدير العظيم أيضاً السيدة السي بادير رفيقة مس افرت ومس طمسن وهي لا تقل عنهما

بشيء من حيث محبتها لبنات بلادنا ونسائها وقد خدمتهن بكل ما أوتيت من حكمة وعلم ودراية والآنسة راحيل طوباز المقيمة الآن في اميركا وما انفكت عن خدمة بلادنا الا المرض فهي لا تزال تحن الى لبنان وأهله

وأنت يا مس هورن يا من خدمت وطنك الثاني هذا باخلاص ما يمده اخلاص طيلة ست وثلاثين سنة يا عنوان العمل والجد والاجتهاد يا من لم تميزي يوماً بين بني قومك وبني قومي يا عنوان المروءة والتضحية والخدمة امامك نحني رؤوسنا خاشعين مقرين بفضلك العظيم علينا وعلى بلادنا — ستي انا سنحفظ لك في قلوبنا اجل ذكرى وأعظم تقدير

نخرج الى الآن من هذا المعهد الكريم اربعمائة وسبعون شابة نقول بحق انهن كن مهدات سبل العلم الصحيح والادب القويم ولا نغالي ان قلنا انهن كن من اركان نهضة الشرق الفكرية والعلمية وحيث نجدون اليوم في الشرق العربي أمة ناهضة حرة تعرف ما لها وما عليها تقوا ان وراء هذه النهضة المباركة تأثير روح وطنية صادقة مقدامة هي روح نفثهُ خريجات هذه المدرسة المحبوبة حيثما وجدن في ربوع سورية ولبنان وفلسطين والعراق ومصر والسودان تفاعل تأثيرهن الصحيح

فمن مهذبة توحي لمقول تلامذتها آيات حب الوطن الصحيح وتنشئهم على تفهم معنى الحرية الحقيقية — اي ان الحرية هي القيام بالواجب لا عمل ما نريد — الى شريكة حياة تشق لزوجها طريق الخدمة الشريفة النزيهة الى مجاهدة غيورة في سبيل كل عمل شريف

اول مدرسة « خرجت فتيات » وطنيات حاملات شهادة علمية عالية احترفن شتى المهن هي المدرسة الاميركية في بيروت

فاول طبيبة « وطنية » في الشرق العربي الدكتورة انيسة صيقع هي خريجة هذا المعهد التي اضطرت الى مغادرة بلادها ووطنها لان الحكومة العثمانية لم تشأ ان تمنحها حق ممارسة مهنتها الشريفة في بلدها طرابلس وهي الى اليوم تخدم الانسانية بعلمها وعملها في مصر

وأول ممرضة ومولدة قانونية حائزة على شهادة رسمية من انكلترا السيدة هيلانة بارودي هي احدى خريجات هذا المعهد الكريم

وأول مفتشة عينتها وزارة المعارف لمدارس البنات في القطر المصري هي السيدة سعدى سابا خريجة هذا المعهد

وأول من اشتغل في الصحافة استير مويال وليبية ماضي هاشم خريجتا هذا المعهد ايضاً

وان ننسى فلا ننسى أول من ساهد في وضع الحجر الاساسي لكلية البنات الاميركية في القاهرة السيدة ميليا بدر خريجة هذا المعهد وهي الى اليوم ركن من أركانها

وأول آنسة نالت درجة دكتور في الفلسفة والعلوم في سوريا ولبنان الآنسة نجلا ابو عز الدين هي ايضاً خريجة هذا المعهد

وأول مهذبة ذهبت الى العراق بطلب من حكومته هي الآنسة رضى جريديني حفيدة وخريجة هذا المعهد وقد عينتها وزارة المعارف هناك بعد أول مفتشة لعموم مدارس البنات في العراق

قد يعتقد البعض من سكان بيروت ان مدرسة البنات الاميركية احدث من الوجود يعتقد هذا لا لسبب إلاّ لان هذه المدرسة تعمل وتجاهد بلا اعلان ولا ضوضاء بينما هي تنمي الى شعب عرف بين شعوب الارض قاطبة باتقانه فن الاعلان الجذاب وهل من برهان على صحة قولي اقطع من الحقيقة التي سأكشفها لكم — ان هذا المعهد الذي انقضى عليه مائة سنة يخدم بلادنا المحبوبة لابن الشرق الادنى كله — هذا المعهد الشيخ بالقياس الى سني حياته — الشاب بجهوده وعزيمته يثابر على العمل المجيد الذي عرف به من أول تأسيسه، يثابر عليه رغم كل الصعوبات ويقوم بنفقات نفسه لا لجنة مالية تسنده على الاطلاق أميركية كانت أم وطنية وقد صار لهُ مستقلاً هذا الاستقلال المادي ما يزيد على الثمرين سنة . أفلا يحق لنا تجاه هذه الحقيقة ان ندعوه وطنيًّا او قولوا ان ندعهُ وننظر اليهِ كما ينظر الى كل معهد وطني

***

أما غاية هذه المدرسة فقد كانت ولا تزال ان تؤهل تلميذاتها لخدمة أوطانهن ومحيطهن عن طريق العلم والادراك الصحيحين ، غاية وأن تنوعت بتنوع الافراد والازمنة والاقطار لا تتنوع بجوهرها وهي لا تسعى الى صنع افكار تلميذاتها بالصبغة الاميركية بل الى ان تجعل من كل تلميذة فرداً مستقلاً متصفاً بتفكيره وتحليله للامور فيصح في مستطاعها ان تكيف ذاتها بحسب الظروف والاحوال غير ناسية التمسك بالمبدأ القويم في وسط هذا التكييف . ومن غايتها ايضاً اعداد تلميذاتها لدخول كلية البنات الاميركية إذا شاءت التلميذات متابعة الدرس العالي وما هذه الكلية الا بنت المدرسة نشأت عن رغبة المحيط واحتياجه اليها فكانت جزءاً من هذا المعهد اولاً ثم اصبحت مؤسسة منفصلة

وهي أي مدرسة البنات الاميركية تسعى الى تحقيق غايتها بأحدث الطرق العلمية وتعنى اول كل شيء بان تدرس اللغة العربية لكل تلميذة بحيث تستطيع إتقانها واستعمالها في محيط عربي وكذلك تعنى كثيراً بتدريس اللغة الفرنسية ومثلها اللغة الانكليزية غير ناسية أهمية ما للرياضة البدنية من الشأن وقد استدعت لتعليمها لاستاذة اختصت بهذا الفن في جامعة كولومبيا والمدرسة تدرب تلميذاتها على الاعمال المنزلية اليومية وهي ترمي الى ان تجعل اللواتي ينلن شهادة المدرسة بيّنة لامتحان البريفه البنانية في القريب العاجل . حقق الله آمالها

تأثير الغيرة في الاجسام

نشرت صحيفة انكليزية بحثاً مفيداً للطبيبة اختصاصية في هذا الموضوع نلخصهُ فيما يلي : —

ما هي الغيرة . انها غريزة في الانسان وجزء من طبيعة نفسه من أقدم الازمنة والعصور . من العهد الذي كان يتحارب فيه اجدادنا باسلحة من الحجارة . كانت الغيرة اولاً نزاعاً على التفوق والبطولة والسلطة شعر بها الانسان لأول مرة عندما وجد نفسه مغلوباً على امره وإن الحيوان اشد منهُ قوة وبطشاً ثم اصبحت الغيرة مظهراً من مظاهر الرآسة والتفوق قد تدعو الى كثير من الفضائل كالشجاعة والنخوة وغيرهما . ولكل للغيرة في وقتنا الحاضر معنى آخر ودواعي اخرى وعندما نشعر بالغيرة تشعرين باضطراب في كل شيء والرجل الغيور قليل الثقة بمن يحب يحجب عنهُ الغيرة محاسن من يحب ويصح حملها ثقيل الوطأة على حاملهِ

الغيرة في نظري تقتل الحب وليست مظهراً من مظاهر وجوده ونموه وتقضي على السعادة وهي تقتلها وتقضي عليها ببطء لا يدركه الانسان وفي الوقت نفسه تصيب الجسم بكثير من المتاعب والامراض . فمنذ ما تكونين غيورة يتأثر نظام عيشتك ويختل توازن اعصابك فيستحي عليك النوم ولا تؤدي اعضاء الهضم وظائفها في حالتها الطبيعية . والهياج والشجار وهما من اول نتائج الغيرة يزيدان في سرعة الدورة الدموية ويرهقان القلب بالعمل ويجهدانه وتظهر آثار ذلك في جلد الفتاة اذ يحتقن الدم ولا يسير في مجراه الطبيعي وتظهر في الجلد بقع خضر اللون باهتة

أعرف زوجين كانا من خير من عرفت من الناس كانت حياتهما سعيدة حتى بدأت الغيرة تدب في قلب الزوج من اتفه الاشياء وكأنما اراد ان يقيم سوراً حول زوجته يحول بينها وبين عيون الناس بل ان يكون صاحب السلطان على اتجاه افكارها . واشتدت به الغيرة حتى اصبحت حياتهما غير محتملة وكانت نتيجة ذلك ان زال حبها لهُ واصبحت تقلم عليه ثم ساءت صحتها واعزمت ان تعيش بعيدة عنه تسترد بعض ما فقدته من عافية وصحة وتم لها ما ارادت واصبح الزوج يعض بنان الندم اذ سمح للغيرة ان تتمكن منه حتى تحطم حياته المنزلية وتسلبهُ حب زوجته

وأعرف إمرأة بلغت بها الغيرة على زوجها مبلغاً كان يحملها على ان تحاسبه على كل ما يفعل فاذا رأت منهُ اعراضاً انفجرت باكية واخذت تكيل له اللوم والعتاب فاصيبت بصداع وكانت تتهمهُ دائماً بانهُ السبب فيه حتى تضايق زوجها وعددها بالفراق . هذه المرأة حمقاء فانها تحاول ان تجذب زوجها اليها ولكنها تجهل كيف تجذبهُ فتنفصه وهي تريد ان تتحكم في ارادته فاذا استعصى عليها ذلك لجأت الى البكاء والعويل

إذا احسست بالغيرة فاذكري انها تنتهي دائماً بالحيبة وهي كفيلة بان تفقدك ما تملكين من امر زوجك . واعتقد ان التغلب على الغيرة امر صعب ولكنها كبقية الامراض لا يستعصى شفاؤها على اللاتي يملكنَ عزيمة قوية ولا يفقدنَ شعورهنَّ وحكمتهنَّ بفعل جنون العاطفة